

الشُّرُوق: 12 / 02 / 1985

سوف عبيد: ليس سهلا أن نكون شعراء

سوف عبيد صوت شعريّ عربيّ في تونس له ميزة المثابرة والتّواضع يواصل معاناة الكلمة الشعريّة بعيدا عن التّقليد والتّقيّد بالشّعر السّائد. ويبحث عن عبارة تؤدّي إحساسه الخاصّ بملامح محيطه التّقافيّ والحضاريّ. مواضيعه الأرض والمدينة والإنسان الذي يتحرّك في فضاء إجتماعيّ مقنّن ومتضارب.

نشر سوف عبيد ديوانه الأوّل "الأرض عطشى" على حسابه مسجّلا حضوره. ثمّ نشر ديوانه الثّاني "نوّارة الملح" عند دار ديميتير مؤكّدا تشبّثه بالحضور المبدع كثير العطاء والإثارة. قصائده على قصرها تمتدّ في علامات ودلائل قريبة من الحياة اليوميّة بعيدة المرامي والرؤى قد يكتفي سوف بكلمة وحرف ليعبر عن اختلاجات حسية وفكريّة حيّة. فلا يعبا بتعميق مجحف أو غنائيّة إنشاديّة أو تفعيليّة رتيبة. إنّه يقول همومه بعفويّة الشّاعر لا بقانون الشّعر. لذلك هو يمسنّا وتمسنّا إنسانيّته. لقاؤنا معه يؤكّد هذا التّميّز في تجربة شعريّة تونسيّة.

** هذا ديوانك الشّعريّ الثّاني، هذا شعرت بأنّه تجاوز الدّيوان الأوّل؟

* لا أعتقد أنّه تجاوز لديواني الأوّل "الأرض العطشى"، بل هي من وجهة نظر تجربتي تعميق للمسار الشّعريّ الذي شرعت فيه منذ أوائل السّبعينات. وإذا اعتبرت مفهوم التّجاوز هو تخطي مرحلة فنيّة وفكريّة فإنّ ديواني الثّاني "نوّارة الملح" اعتبره شاهد عيان عن وضعيّة تاريخيّة معيّنة دون اهمال أحوالي الشّخصيّة في هذه المرحلة. لذلك فإنّ هذا الدّيوان اعتبره مواصلة لما بدأت فيه، ولكّنها مواصلة أخرى للبحث عن الجديد ولقول ما لا يقال!

هذا وقت فاجع

** ماذا تمثّل العبارة الشعريّة بالنّسبة إليك في هذا الوقت؟

* هذا وقع فاجع، هذا وقت تقف فيه الإنسانيّة على قاب قوسين أو أدنى من الدّمّار والخراب، هذا وقت استعباد الشّعوب وقهر

طموحاتها في الحرّية. وليس الشّعب الفلسطينيّ إلاّ مثالا لمظلّمة هذا العصر، لذلك فالعبارة الشّعريّة هي بطريقة أو بأخرى. وهي طموح إلى إيصال النبض الإنسانيّ الأصيل إلى الإنسان لعلّ الإنسانيّة تفلح عن الجبروت والطغيان وتعود إلى دفء المحبّة، فالشّعْر شأنه شأن كلّ الفنون التي تنطلق من الإنسان لتعود إليه، ولكن العبارة الشّعريّة في الحضارة العربيّة لها مدلولها الأعمق بحكم سلطان الكلمة في الدّات العربيّة، لذلك تمثّل العبارة الشّعريّة في هذا العصر وبالنّسبة إلى الوطن العربيّ الموثق المعبر عن معاناة هذا الجيل الجديد بل تمثّل نظرة هذا الجيل إلى الماضي والحاضر وكذلك ترنو إلى المستقبل.

اتفاعل مع المدينة

** تبدو مضامينك متّجهة أكثر فأكثر إلى أحداث وصور من الحياة اليوميّة في مدينة تونس، كيف تشغلك المدينة وكيف تقبل على تصويرها؟

* هو كذلك، فالشّعْر ينطلق من الإطار التّاريخي الذي ينشأ فيه، وإذا نظرنا إلى تاريخ الشّعْر العربيّ وجدناه لا يخرج من هذا الإستنتاج، فالشّاعر العربيّ تحدث عن فرسه وعن سلاحه وعن الصّحراء في الجاهليّة، وتحدّث عن المدينة وأجوائها في العصر العبّاسي مثلا، لذلك فعندما انطلق أنا من مدينة تونس فلانها الركح الذي تظهر فيه الأشياء بتفاصيلها حيناً وبرموزها حيناً آخر، وليست مدينة تونس إلاّ إحدى المدن العربيّة التي تتشابه كثيرا في رموزها القديمة كالأسواق والمساجد التي حاصرتها البنايات والشّوارع الحديثة. وهي تعبّر عن هذا الغزو المعماريّ الإفرنجي الذي استطاع أن يدخل الإرتباك في الدّات العربيّة على مستويات نفسيّة وحضاريّة أخرى وحينما أقبل على تصوير بعض من يومياتها فإنّما هو نتيجة للتفاعل مع هذه المدينة التي تضيق فيها أحيانا ونضحك فيها مرّة ونلاقي فيها الناس الأصدقاء والغرباء. فالمدينة هي الحياة العربيّة المعاصرة بكلّ تناقضاتها ولكني أصوّر هذه المدينة بالعين التي رأت أول ما رأت البادية في زرقتها وفي صحرائها وفي حينها أيضا!

** كيف تقرأ قصائدك مع القارئ؟

* قبل أن أنشر القصيدة قد تمكث أعواما طويلة عندي أعود إليها بالزيادة والتقصان وقد أنشرها بعد كتابتها مباشرة وإني حينما أعود إلى قصائدي القديمة أعود إلى كثير من المذكرات التي ظهرت فيها تلك القصائد. فكل قصيدة تقريبا لها حكاية والغريب أن بعض القراء قد يقرأ أبعادا في قصائدي لم تخطر لي على بال أصلا. وأني أعتبر القارئ هو نصف الشاعر الثاني الذي يبحث عنه نصف الشاعر الأول، فإذا تم اللقاء والتأثير ولدت القصيدة. وذلك هو الخلود. ونادرة جدا هي القصائد الخالدة فليس سهلا أن نكون شعراء!

القارئ نصف الشاعر

** أنت تتابع نفسا قد لا يخضع إلى التفعيلية، فهل هو تروق إلى النثر الفني؟

* هذه المسألة تندرج ضمن المجال التنظيري النقدي، وصحيح أنني أكتب دون احتفال كبير بالتفعيلة على النمط الخليلي ولكن المهم أن الشعر هو الذي يهز النفوس ويحرك الطباع ذلك أن تعريفه بالكلام الموزون المقفى ليس كافيا وإلا لعدنا ألفية ابن مالك في النحو أحسن الشعر. كذلك أين هي البدايات الأولى للشعر العربي القديم وأين التجارب الكثيرة الخارجة عن الأوزان المعروفة، كلها ضاعت بسبب التاريخ الرسمي للشعر العربي، والغريب أن العصر الجاهلي قد حاولوا إهماله في كل شيء تقريبا على عكس الشعر الذي تمسكوا بالصمود فيه وعلينا أن نعلم في هذه المسألة أن أجمل وأخصب الشعر العربي هي تلك المحاولات المحدودة في التجديد التي كانت تظهر من عصر إلى عصر فالنقاط المضيئة في ذاكر الشعر العربي هي نقاط التجديد، وأن لأحلك الحقبات هي حقبات الجمود والركود، أما في عصرنا فإن الذي أكتبه يطمح إلى أن يندرج ضمن الرؤيا الجديدة التي تحاول أن تتجذر في سمات الحاضر العربي ولعل حركة الشعر الحديث أحد محاولات الخروج عن الواقع السائد لكشف ألوان أخرى، والذين يخشون من الجديد إنما ذلك لأنهم تعودوا على عصور الظلام بكل رموزه ولا يهمني كثيرا تسمية ما أكتبه هل هو شعر جديد أو نثر فني فهذه مهمة النقاد، ولكنني أتوق إلى أن أكون معبرا ومؤثرا في ما أكتبه وهذه هي المهمة الصعبة حقا، فليس من السهل تجاوز آلاف القصائد

على مدى ستة عشر قرناً من المذاكرة الشعرية العربية، ولكنني
رغم ذلك سأحاول، فأنا لست وحدي الطامح إلى التغيير! ومسافة
الألف ميل تبتدئ بالخطوة الأولى هكذا يقول المثل الصيني ... نعم
اطلبوا العلم ولو في الصين!